

!الزوال خطيئة ..اليمن على سعود آل ″عاصفة″



بقلم محفوظ التهامي

لم يتوقع الشعب اليمني يوما أن يستفيق على عدوان سعودي غاشم، يجر خلفه جوقه من جيوش العطالة و الإرتزاق، يستهدف اراضيه، يحمل اسم "عاصفة الحزم" ، في محاكاة بئيسة للأسماء التي تطلقها (إسرائيل) وأمريكا على عملياتهما العسكرية العدوانية في كل من لبنان وفلسطين والعراق. وإذا اردنا الدقة فليس في الامر محاكاة، بل في العمق والجوهر كما الأهداف هي حرب امريكية اسرائيلية، تعتمد المعطيات الاستخبارية الامريكية الاسرائيلية، وتدار من غرفة عمليات غير تلك اظهرتها لنا قناة "العربية" وباقي قنوات ال سعود، وتعتمد ليس فقط على الطيران الامريكي بل وعلى الخبراء الصهاينة وفريق المستشارين الامريكيين.

ولأن في عقيدة آل سعود ان المال يشتري كل شيء فقد اشترى فريقا عربيا من سوق النخاسة العسكري، لإظهار عدوانهم الغادر وكأنه يعبر عن موقف عربي، وعن حزم سعودي استحال بعد عقود من (الحلم والصبر والحكمة) عاصفة بنكهة ديمقراطية، طالما ان الهدف المعلن من العدوان السعودي هو الانتصار للشرعية الديمقراطية والمثمنة بعودة المدعو هادي، مع العلم أن شرعيته انتهت في 15 فبراير 2014 بعد انتهاء فترة السنتين التي حددتها ما تسمى بـ "المبادرة الخليجية"، رغم أن "أنصار[]" لم تعترف بها منذ البداية، ثم حصل التوافق بعد ذلك بين القوى السياسية للتمديد له لمدة عام آخر، والآن انتهى العام الثالث، ولم يعد هناك توافق على هادي بين القوى السياسية، ولم تعد له شرعية هذا بمعزل عن استقالته ثم عودته عنها وملابسات كل ذلك.

عشرة دول عربية وبشراكة امريكية اسرائيلية تُغيّر بطايراتها منذ فجر الخميس على اليمن انتصارا للشرعية! طبعاً نعلم ويعلم الجميع أن الامر ليس كذلك، وتطالعنا شاشات ال سعود وقنوات الرجعية العربية بصور الكترونية عن الاهداف اليمنية وهي تدمر، وعلى مدار الساعة يزودنا الناطق الرسمي باسم "عاصفة العار" بمعطيات السيطرة على المجال الجوي اليمني وعن تحقيق الغارات اصابتها الدقيقة.. مشهد سوريالي يفظم القلوب.

والكارثة ليست في هذا العدوان نفسه فحسب، بل وفي محاولة الاعلام السعودي وتوابعه اقناعنا بانتصارات وانجازات عسكرية وملحمية، ودفعنا بالتالي كشعوب عربية الى الفرح بالنصر والابتهاج بالقوة العربية الضاربة التي داهمت بأسنا وإحباطنا على حين غرة، وما علينا إلا أن نستبشر بأن زمن الحزم قد أزف، فارفع رأسك أيها العربي.. واهتف بأعلى صوتك " سجل يا تاريخ هاهم العربان في قلب الحداثة السياسية، وها هم ال سعود يبهرون العالم ويجيشون الجيوش لتأديب المارقين عن الشرعية، الها تكين لحرمة مقام الرئاسة"!

كم صرخ الفلسطينيون في حصار بيروت عام 1982 وبعده في غزة وهم تحت "الرصاص المصبوب"، والفوسفور المنثور، وكان ان كفر شاعرهم الراحل محمود درويش كما في رائعته (مديح الظل العالي) التي كتبها في حصار بيروت، والتي يقول فيها:

سقط القنّاع عن القنّاع عن القنّاع عن القنّاع

سقط القنّاع

لا إخوة لك يا أخي ، لا أصدقاء

يا صديقي ، لا قلاع

لا الماء عندك ، لا الدواء ولا السماء ولا الدماء ولا الشراع

ولا الأمام ولا الورااء

حاصر حصارك .. لا مفر

سقطت ذراعك فالتقطها

واضرب عدوك ... لا مفر

وسقطتُ قربك ، فالتقطني

واضرب عدوك بي .. فانت الآن حر

حر

حر ...

وكم استصرخ الشعب اللبناني؛ ومعه فلسطينيو المخيمات؛ الحمية العربية، في مجازر صبرا وشاتيلا، ومجزرة قانا في عدوان "عناقيد الغضب" وغيرها من اسماء لحملات صهيونية استباحة كل شيء..كم صرخ الفلسطينيون وتقطعت معهم افئدة الاحرار وهم يصدون بالايادي العارية هجمة الصهاينة على المسجد الأقصى وتدنيسهم لباحاته المشرفة. لكن كانت الرؤوس في الرمال، والاذان من طين ونحاس.. وتترك المستضعفون لمصيرهم ولجراحهم ولغطرسة عدوهم.

فما الذي تغير؟ وإذ تغير الأعراب وانتبهوا لسلحهم المكس منذ عقود، ولما دخل ويدخل مخازنهم مع كل تلك الصفقات التي لو استثمر ربعها فقط في مشاريع تنمية لما جاع مواطن عربي واحد.. فلماذا يكون

اليمن المفقر والمضيق منذ عقود هو المسرح الذي تضربه عاصفة العار المسماة "حزما" ادعاءً!
وكذباً؟!

وسواء كان مبرر هذا العدوان الاجرامي هو "الشرعية"- بحسب الادعاء - ؛ شرعية رئيس خائب ومتآمر ومستقل ومنتهي الصلاحية والاهلية، أو كان الدافع شبه المعلن هو مزاعم (الأمن القومي العربي) والحاجة إلى تحصينها؛ صح النوم يا عرب. فهل تستدعي تحولات سياسية داخلية مهما كانت حدتها ودخول السلاح عليها، وطبيعة ارتباطات بعض أطرافها، تجيش الجيوش والتنسيق مع الأمريكي والصهيوني لشن عدوان عسكري على شعب عربي ومقدراته؟ ناهيك على أن هذا العدوان - وتنزلا- يبقى فاقدا لأي غطاء قانوني على اساس ميثاق الجامعة العربية او مرجعية مجلس الامن الدولي.

والحقيقة ان قصة هذا العدوان مرتبطة باليمن الذي اراده حكام آل سعود على مقاسهم وصورتهم، يمنٌ يشكل عمقا أمنيا للكيان السعودي، دون أن يراوح هذا الدور، يمنٌ فاقد للإرادة والوحدة الوطنية والقرار والسيادة، يمنٌ يعيش على حافة الزمن.. وما استثمره آل سعود في اليمن من مال كان صرفا لشراء الذمم وولاءات بعض شيوخ القبائل والسياسيين، ولإقتطاع مساحات مبعثرة في خارطة اليمن لزرع مدارسها. وفي هذا الرهان وجد النظام السعودي في المخلوع علي عبد الله صالح رجلها المناسب حتى قامت عليه ثورة يناير 2011، والتي اجهضها حكام السعودية عبر ما عرف بالمبادرة الخليجية، شأنها في ذلك شأن باقي الثورات.

لكن وفي سياق هذا اليمن الذي حجّمته ارادة آل سعود وافقره رئيس عميل يدور في الفلك السعودي الأمريكي، واستوطن بعض جنوبه الإرهاب القادم من المناخ الديني "السعودي"، كانت محافظة صعدة تشكل رحم حركة وطنية اسلامية ترفع لواء المعارضة على أساس مطالب جهوية تنموية عرفت بجماعة "الحوثي"، لكن سرعان ما ستتحول هذه الحركة الى حركة مشروع إنقاذ وطني، وذلك امام تراكم مظاهر الازمة الاقتصادية، وتعاطم الفساد السياسي والذي بلغ ذروته مع مشروع التوريث الذي كان يعد له علي عبدالله صالح، إضافة إلى الاختراق الارهابي القاعدي لبعض المحافظات الجنوبية، فضلا على الوحدة الوطنية التي كانت تتهددها مشاريع الانفصال الجنوبي.

تنامي هذه الحركة "الحوثية" كان مبعث قلق للنظام السعودي، حتى انه تدخل عسكريا ضدها في الحرب السادسة عام 2009، قبل ان تحسم الجولة بهزيمة "السعودية"، واتفاق هدنة مع نظام علي عبدالله صالح.

وزاد من قلق نظام آل سعود من جماعة "انصار الله" بتوجهها الفكري والايديولوجي، وبعلاقتها الجيدة مع

إيران؛ قدرتها من الإنسياب بسلاسة ملفتة في النسيج السياسي اليمني ودخولها في تحالفات مع بعض القوى اليمنية الأخرى، خاصة وأنها سجلت حضوراً ملفتاً في أثناء ثورة يناير 2011، وصولاً إلى تحملها مسؤولية تاريخية ووطنية في النهوض باليمن وتحريره من الوصاية السعودية من مدخل اتفاق "السلم و الشراكة الوطنية" الذي وقعت عليه إلى جانبها المكونات السياسية اليمنية الأخرى، بما فيها «حزب التجمع اليمني للإصلاح» و«المؤتمر الشعبي العام» و«الحراك الجنوبي».

أدرك آل سعود خطورة النقلة السياسية التي سيفتح عليها الاتفاق، وقرأت في نصه السياسي بوادر نهضة وطنية، وهالها تحول "الحوثيين" إلى حركة وطنية فوق مذهبية استطاعت أن تصبح طليعة الشعب اليمني ورافعته نحو تحقيق أهداف ثورة يناير 2011، فاعزوا إلى عميلهم الرئيس هادي تعطيل الاتفاق وتفريغه من مضمونه، وهو ما فتح على التطورات اللاحقة بدءاً بلعب ورقة الفراغ والتعطيل من خلال استقالة الرئيس هادي، وهو ما رد عليه أنصاره وحلفاءهم بالإعلان الدستوري، ثم ما كان من فرار الرئيس المستقيل إلى عدن والشروع في مخطط التقسيم بإيحاء من حكام آل سعود ما استدعى تحركاً عسكرياً من قبل الجيش اليمني وقوات أنصاره..

في تطورات اليمن ظل النظام السعودي وفيما لنهجه في معاداة أي نزعة تحرر في العالم العربي، لأنه يدرك أن تنامي الحالة الديمقراطية في المجال العربي سيعريه ويجعله مكشوفاً كنظام قبلي مستبد مغرق في التخلّف والعمالة. وأما أن يتحرر بلد في خاصرته الجنوبية ويبرز فيه تياراً وطنياً معادياً لأمريكا و(إسرائيل)، تياراً استطاع أن يدمج في صفوفه قاعدة عريضة من اليمنيين في مختلف محافظات اليمن على أساس برنامج وطني تحرري يقطع دابر الوصاية السعودية ويلحق اليمن بخط المقاومة للمشروع الأمريكي الصهيوني كسياق للوحدة والتحرر والتنمية، فذلك الذي أصاب حكام آل سعود بالجنون ودفعهم إلى مغامرة "عاصفة الحزم"، والتي ستبتدئ صخرة صمود شعب اليمن الشامخ شموخ جباله العصية على كل المحتلين.

لأجل الشك في أن نهاية هذا العدوان السعودي الأمريكي على اليمن المستضعف سيكون الفشل ومعه الخزي والعار الأبديين، بل إنه الخطأ الاستراتيجي القاتل الذي وقعت فيه مملكة الظلام، وإنه مكر التاريخ وقوانين الصراع وموازين القرآن.. "وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين".